

# المطاهير والأعمال

## تصرفنا عن المحقائق والأعمال

لحضرة صاحب السعادة محمد علي علوبه باشا

العمل المثمر المضمون البقاء والتقدم والنجاح ، هو العمل الذي يقوم على العقيدة ، ويدفع اليه الإيمان وتبعته الرغبة في القيام به . أما العمل الذي يدعو اليه التظاهر والتفاخر والذي يقوم على إرضاء شخص أو جماعة أو سلطة ، فعلى مآله البوار ، مهدد بالترك والإهمال حسب انعدام الحافز الخارجى أو تغيره .

نعم . إن حب الثناء طبيعة في الإنسان ، وإن الغرض أو المباهاة غريزة إنسانية ، ولكن ينبغى أن تتركز المباهاة على أعمال تبعثها العقيدة وتحفز اليها الحماسة ، ثم يجرى الثناء عليها والافتخار بها غرضين تالين لا غرضين أصيلين .

ويبدو لمن يلاحظنا في المدرسة والبيت والديوان والمجتمع ، أننا نصنع كل شيء في حياتنا لمظهره لا لحقيقته ، وللباهاة لا للانتفاع به ، ويعتينا من جميع تصرفاتنا الإعلان والإذاعة ، لا القيام بالواجب ، ولا تحقيق النفع الذي يثمره العمل بطبيعته .

تصاحبنا هذه الروح في المدرسة فتبدو في مظاهر كثيرة نشير اليها هنا إشارة عابرة إذ نقول : إن الغرض من كل ما يقع فيها ليس التعليم وليس التربية ، ولكن مظهر التعليم ومظهر التربية الذى يراه الرؤساء .

فالألعاب الرياضية مفروض أنها قررت درسا أصليا في المنهج لتقوية الأجسام وتقويم الأبدان من جهة ، ولتكوين الأخلاق وغرس بذور الفضائل من جهة أخرى ، وللإثارة على نوع من التضامن الاجتماعى من جهة ثالثة .

والمفروض حينئذ أن يتال كل تلميذ منها نصيبا ، وأن يكون الضعفاء والشواذ أحق بالجميع بزيادة العناية بأمرهم فيها ، حتى تستقيم أجسامهم وأخلاقهم ، وحتى يجدوا من الفرص الإصلاحية في اللعب ما قد يعز عليهم في الدرس .

ولكننا نحن عكسنا الآية ، وصرفنا كل غايتنا من الألعاب الرياضية إلى المباريات والحفلة العامة التى يدعى إليها الوزراء والحكام والناس العظام . وعلى هذه القاعدة جعلنا نختار لقسم الألعاب في كل مدرسة التلاميذ الأقوياء البنية الذين مروا على أداء التدريبات

الرياضية، وبعبارة أخرى التلاميذ الذين ليسوا في حاجة لهذه الألعاب من الوجهة البدنية .  
أما الأخلاق فلم تخطر لنا على بال ، إذ أنها لا تظهر في المباريات والحفلات ، فليست إذن  
بذات بال !

وابتدعت وزارة المعارف في الأعوام الأخيرة بدمية طيبة وهي " النشاط المدرسي " الذي  
افتتحت معارضه في هذا العام بمهرجانات وحفلات . وكان القصد من هذا النشاط أن تفسح  
لمواهب التلاميذ وسائل الظهور في غير محرمات التدريس ، وأن تجعل منه وسيلة لمراعاة الملكات  
العقلية بعيدا عن القيود المعتادة والحصص ، وأن تعلم التلاميذ قضاء أوقات الفراغ في عمل  
نافع أو رياضة محبوبة ، حتى لا يتفوقوها - متى كبروا - في العبث الفارغ أو الأفكار  
الشريرة .

ولكننا كما دتنا حولنا هذا النشاط عن الغرض الأصلي منه الى المظهر والإعلان ،  
وجعلنا غايتنا الأولى والأخيرة هي "المعرض" واخترنا لكل قسم من أقسامه أمهر التلاميذ  
في المدرسة على أعمال هذا القسم . أما الضعاف فلا علينا منهم ، ماداموا لا يتفخعون في المباراة  
والمسابق . وأهلبنا أيدي التلاميذ وظهورهم بالعمل المرسوم المحدود في هذا النشاط الذي تزم  
أنه حر وطيح !!! لأن المعرض ينتظرنا ولأننا نريد أن نرضى الرؤساء وننال الجوائز ، وعقاه  
بعد ذلك على كل غرض آخر من أغراض النشاط المدرسي .

والتدبير المتزلى في مدارس البنات جعل ضمن البرنامج لتدريب الفتاة على حياة البيت  
كأن لا تكون غريبة على شؤون المنزل حين تأوى إليه ، ولتنتفع بما درست فتطبقه في دارها  
ببصيرة وإتقان لا يتهيان للفتاة الجاهلة .

كان ذلك هو القصد العملي ، ولكن المدارس أمانته الى مظهر أجوف لا يتطبق على الحياة  
العملية في شيء ؟ ، ويكفي أن تعلم أن "خراط البصل" لا يتم في المدرسة إلا بالشوكة والسكين  
لأن هذا هو المثل الذي يحقق المظهر الشاذ الذي يلفت النظر ، أما ربة بيت أو الطباخ  
فلا يخراط البصل إلا بيده وبالسكين ضنا بالوقت أن يضع في عمل تافه صغير !

ويكفي أن تكون مدعوا مرة في حفلة تقيمها مدرسة معلمات فتأكل طبقا من  
الحلوى من صنع التلميذات فيجبك ، فسأل عن تكاليفه فيقال لك : " ستة وتسعون  
قرشا " ! أي نعم ، الفتاة التي تتخرج من مدرسة المعلمات لتتزوج موظفا صغيرا لا يزيد مرتبه  
على ثمانية جنيهات لا تستطيع أن تصنع له طبقا من الحلوى إلا بستة وتسعين قرشا ، أو  
بأربعة وعشرين لأن الطباق الكبير كان يكفي ثمانية أشخاص !

ذلك هو "التدوير المنزلي" في مدارس البنات . شيء للظهر والزينة للعمل والمرانة . والمدارس الصناعية مفروض أنها أثلت لسد حاجة السوق من الصناع المهرة المثقفين قبل أن تنشأ للزينة والمعارض . ولكن التدريب في هذه المدارس يتم إلى تحقيق الكماليات وإلى صنع الأشياء الفاخرة وحدها ، لا إلى إنتاج المصنوعات التي تروج في الأسواق . وحسبك زيارة لمروضات هذه المدارس المرتفعة الأثمان لتدرك الشروء في توجيه هؤلاء الطلاب . فانت لا تستطيع أن تشتري أثاث حجره مكتب مثلا في حدود خمسة وعشرين حنينا ، ولا حجره مائدة في حدود ثلاثين جنينا أو أربعين ، ولا بد أن تسمع أرقاما ذات صفرين على اليمين ، فهل للتوفين وحدهم عمل هؤلاء الصناع ؟

لا شك في أن هذا هو الذي جعل خريجي هذه المدارس غير النجيين في سوق العمل ، فلا بد من تدريبهم بعد تخرجهم على مصوغات السوق حتى يستطيعوا الاستفاعة بما درسوا في المدرسة . وهذه لغة طويلة هم أوى بالوقت لدى تستعراة في حياتهم المحدودة .

وكراسات التلاميذ وأعمامهم في الدروس قصد منها إلى تعييبهم وتصوب أخطائهم . ولكنهم في نظر المدرسين مجعولة لإطلاع الطار ومفتشيين ورؤساء قبل كل شيء ، ويجب أن يكفلوا هذا النظام أي ممن ، ولو على حساب غرائز التلميذ وتدريبه العنفي . وتبلغ الدرجة أن "يسود" التلاميذ في كراسات يصححها المدرسون ثم "يبضوا" المصحح في كراسات أخرى يراها الرؤساء وتظهر فيها النظافة والتنسيق

والتعليم للتثقيف . وذلك في مدارسنا ، وجه كذا للامتحان . إلا على المدرسة من ارهاق التلاميذ وتباعد أخطار الطرق وأخطار الوسائل في تربية عقليتهم وشخصيتهم لضمان النجاح في الامتحان ، ذلك المدبح الرهيب الذي تقدم فيه القرابين من شخصيات التلاميذ وعقليتهم ومن ثقافتهم أيضا .

وهؤلاء التلاميذ ، الذين يتعرضون لكل هذا الذي ذكرته وهم في طور التعليم ، والذين يشبون وهم مؤمنون بالمظهر وبالإعلان ، بعيدون عن حب الواجب وطلب الحقيقة ، هم رجال الغد ، وهم الموظفون في الديوان ، والآباء والأمهات في المنازل ، والبنات الجديدة في المجتمع المنظور .

وهم لا يتعرضون للانطباع بهذا الطابع في المدرسة وحدها . ذلك أن روح المظاهر والأشكال تصاحبنا في المنزل ، فحجرة الاستقبال هي الحجره الأولى في نظاما المنزل . أما حجرات النوم وحجرة المكتب فقلما نمنحها هذه العناية ، وأما المطبخ فآخر ما نشكر في جملة لائقا بأسااط التي تقضيها ربة المنزل فيه . والسبب في العناية بحجرة الاستقبال دون سواها هو روح الإعلان وحب المظاهر ، مع أن استعمالها ومدة وجودنا فيها قليلان بالقياس إلى الحجرات الأخرى .

و نحن نعلن عن أفراحنا وعن ماتمنا ، ونقباهى بأسماء المجاملين في الأولى والمعزين في الثانية ، وتقيم السرادقات الفخمة ، وتدعو من لا تربطنا بهم صلة من قرابة أو صداقة ، لأنه لا يهمن أن نفرح أو أن نحزن ، ولكن تهمننا مظاهر الفرح ومظاهر الحزن المصطنعة المتكلفة .  
وتصاحبنا هذه الروح كذلك في المجتمع والأعمال العامة ، فالبرامج الحزبية والبيانات الوزارية ، والمشروعات الحكومية أو الأهلية كلها موجهة للدعاية وللإعلان وليست ثمرة للاقتناع بفائدتها أو العزم الحقيقي على تنفيذها . وكذلك تفعل الجماعات الأدبية والعلمية مع الأمل الشديد .

وهناك مشروعات ضخمة تعلن عنها هذه الهيئات ، وهي واثقة أنها لا تمك وسائل تنفيذها بل قد تكون ممتنعة بعدم صلاحيتها ، ولكنها تصلح للدعاية والضمجيج ولها مظهر خلاب وبريق ، فهي تعرضها لتؤدي هذه الغاية وحدها ، وتعتمد على ضعف ذاكرة الجمهور وطى قلب الأوضاع والأيام ووجود المعاذير والعراويل .

وبسبب تربية الطفل في البيت والمدرسة هذا النوع من التربية ، وما يراه بعد ذلك من أعمال الهيئات في المجتمع ، نراه قلما يتجه اتجاها عمليا وقلما يؤدي عملا لاقتناعه به اذا لم يكن له مظهر وضجيج وبريق . وذلك هو آفة التفكير والتنفيذ .

نحن في حاجة الى تغيير هذه العقلية في كل مكان : في البيت ، حيث يجب أن نغني بمحجرات المنزل وأدواته بحسب قيمتها العملية لا بحسب مظهرها ، وحيث نكتفي في أفراحنا ومآتمنا وحفلاتنا بما يحقق الغرض الأصيل منها من فرح أو حزن أو تعارف وينفى ما عدا ذلك من المظاهر الفارغة الجوفاء .

وفي المدرسة ، حيث نوجه الدراسة والألعاب الرياضية والنشاط المدرسى الى الأغراض المقصودة النافعة للتلاميذ ، ونحذف من تفكيرنا العمل للنظر والمفتش والحفلات والمعارض أو الامتحان والمباريات .

وفي النشاط الحكومي والاجتماعى ، حيث ينبغي أن نجعل همنا للازادة والحقائق لا للإعلان والمظاهر .

يجب أن نتعلم العمل الصامت الذى يملن عن نفسه ، وأن نتعود أداء الواجب لأنه واجب لأنه يصاح للضجيج والتمويه ، وأن نقتصد في الإذاعات والبيانات قبل أن نحقق ما يستحق الإذاعة والبيان .

يجب أن يكون الحافز للعمل نداء يهيب بنا من أعماق النفوس وقرارات العقائد ، لا رغبة في إرضاء الرؤساء أو تصفيق الجماهير .

محمد على علوبة